كتاب التوحيد

تأليف

الحافظ الكبير إمام الائمة ورأس المحدثين شيخ الأسلام
أبى بكر محمد بن اسحق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى
المتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة

﴿ عرف الكتاب وترجم للمؤلف ﴾
العلامة المحقق الكبير صاحب الفضيلة
الشيخ محمود عرنوس
القاضى بالمحاكم الشرعية

نشره وصححه

عزت العطار

سكرتير

لجنة الشبيبة السورية بالقاهرة

العنوان : شباك بوستة الأزهر بمصر

سنة ١٣٥٦ هـ — سنة ١٩٣٧ م

مطبعة الأنوار القاهرة

نسختنا هذه مأخوذة عن النسخة الخطية الوحيدة المحفوظة
بمكتبة بلدية الاسكندرية المكتوبة سنة ٥٩٣ هجريه

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب التوحيد المنسوبة لابن خزيمة

للفقيه المحدث أبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمه كتب فى التوحيد مابين مطول ومختصر أظهرت إحدى المطابع المصرية كتابا منها قال المؤلف فى سبب تأليفه أما بعد فقد أتى علينا برهة من الدهر وأنا كاره للاشتغال بتصنيف مايشوبه شيء من جنس الكلام من الكتب وكان أكثر شغلنا بتصنيف كتب الفقه التى هى خلو من الكلام فى الاقدار الماضية التى قد كفر بها كثير من منتحلى الاسلام وفى صفات الله عز وجل التى قد نفاها ولم يوقن بها المعطلون وغير ذلك من الكتب التى ليست من كتب الفقه وكنت أحسب أن مايجرى بين المتناظرين من أهل الأهواء فى جنس الكلام فى مجالسنا ويظهر لاصحابه الذين يحضرون المجالس والمناظرة من إظهار حقنا على باطل مخالفينا فى المناظرة كاف عن تصنيف الكتب فى صحة مذهبنا وبطلان مذاهب القوم وغنية من الكتاب فى ذلك . فلما حدث فى أمرنا ماحدث مما كان الله قد قضاه وقدر كونه مما لامحيص لأحد ولا موئل عما قضى الله كونه فى اللوح المحفوظ قد سطره من حتم قضاه فمنعنا من الظهور ونشر العلم وتعليم مقتبسى العلم بعض ما كان الله قد أودعنا من هذه الصناعة . كنت أسمع من بعض أحداث طلاب العلم والحديث ممن لعله كان يحضر مجالس أهل الزيغ والضلالة من الجهمية المعطلة والقدرية المعتزلة فأتخوف أن يميل بعضهم عن الحق والصواب من القول بالبهت والضلال فى

هذين الجنسين من العلم باثبات القول بالقضاء السابق والمقادير النافذة قبل حدوث كسب العباد والايمان بجميع صفات الرحمن الخالق جل وعلا مما وصف الله بها نفسه فى محكم تنزيله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وبما صح وثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم بالأسانيد الثابتة الصحيحة بنقل أهل العدالة موصولا اليه صلى الله عليه وسلم فيعلم الناظر فى كتابنا هذا مما وفقه الله تعالى لإدراك الحق والصواب ومن عليه بالتوفيق بما يحب ويرضى صحة مذهب أهل الآثار فى هذين الجنسين من العلم وبطلان مذاهب أهل الأهواء والبدع الذين هم فى ريبهم وضلالهم يعمهون. وبالله نثق وإياه أسترشد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وقد بدأت كتاب القدر فأمليته وهذا كتاب التوحيد . اه

وليعلم القارىء أن أبحاث المتقدمين فى التوحيد غير أبحاث المتأخرين فالمتقدمون مثلا يذكرون أسماء الله وصفاته التى وردت فى القرآن أو فى السنة الصحيحة يذكرون الاسم أو الصفة ويذكرون ماورد فيه من القرآن أو السنة الصحيحة كما فعل البيهقى فى كتابه الأسماء والصفات بدأ كتابه بقوله قال كتاب أسماء الله جل ثناؤه وصفاته التى دل كتاب الله تعالى على اثباتها أو دلت عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو دل عليه اجماع سلف هذه الامة قبل وقوع الفرقة وظهور البدعة الخ .ومثل كتاب البيهقى كتاب ابن خزيمة الذى طبع حديثا وإن كان كتاب البيهقى يمتاز بسهولة لفظه وسعة أبحاثه . قال ابن خزيمة فى كتاب التوحيد أول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جل وعلا فى كتابنا هذا ذكر نفسه جل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس

خلقه وعز أن يكون عدما لا نفس له قال جل وتنزه لنبيه محمد ﷺ (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) فأعلمنا ربنا أن له نفسا كتب عليها الرحمة أى ليرحم بها من عمل سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وسرد ابن خزيمة الآيات الدالة على اثبات النفس لله سبحانه وتعالى ثم ثنى بذكر الأخبار الوارده عن النبي ﷺ فى ذلك وهكذا يفعل فى إثبات العلم لله تعالى والوجه والرؤية والسماع والعين واليد والكلام . . . الخ

هذا واحد من كتب التوحيد التى ألفها ابن خزيمة وثمت كتب أخرى منها كتاب فى مكتبة الاسكندرية يسمى كتاب التوحيد أيضا ولكن موضوعه غير موضوع الكتاب السابق وإن كان مما يشمله علم التوحيد قال فى فاتحة كلامه هذا كتاب وضعته وصنفته وجمعت فيه الحجج من كتاب الله تعالى ومن أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ومن اجماع الامة ليكون حجة للعالم ودليلا واضحا للمتعلم وردا على أهل البدع فمن لم يحسن هذا الكتاب وجالس أهل الأهواء فان البدعية والمرجئة يزيلونه عن الطريق وإن كان عالما فانه يقع فى قلبه شك من أقاويلهم وحججهم الباطلة فليدم النظر فى هذا الكتاب وليحفظ منه كل باب ويتفكر فيه فانك إن عرفت هذه الأصول وتفهمت معانيها واحتجاجها فانك لا تزول عن السنة والجماعة ولا يتهيأ للمبتدعة أن يغلبوك وستغلبهم بهذه الحجج فانى غلبت أهل خراسان بذلك وان عامة أهل خراسان الغلبة عليهم الأرجاء وهو مذهب خبيث وكنت ألفت هذا الكتاب زمانا ليكون أصلا لاهل السنة والجماعة فانه روى عن النبي ﷺ باسناد صحيح أنه قال (تفرق بنو إسرائيل أمة موسى

على أحد وسبعين فرقة ، وتفرقت أمة عيسى عليه السلام على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا فرقة واحدة. قيل يارسول الله وما الفرقة الواحده قال ما أنا عليه اليوم وأصحابى)

قال محمد بن اسحق رضى الله عنه لايدرك طالب السنة والجماعة هذا المذهب الواحد حتى يتعلم هذا الكتاب ويحفظه حفظا كما يتعلم سورة من القرآن فانى سألت فقهاء خراسان والعراق ومكة والمدينة وسائر البلدان والعلماء الذين أدركتهم عن هذه المسائل فلم أجد عندهم الجواب . . . الخ إلى أن يقول إن هذا الكتاب فيه أحكام الدين ومعرفة الأصول ومعرفة المذاهب من أهل البدع والرد عليهم .

فهذا الكتاب يبين معنى : التوحيد ويعقد فيه بابا لذلك ثم باباً آخر يبين فيه معنى الدين وتفسيره ، وآخر للايمان ومعناه وباب للاسلام ، وباب للسنة والجماعة وباب للبدعة وتفسيرها ، إلى آخر ماسيمر بك من مشتملات هذا الكتاب .

وستقف من كلام المؤلف على معرفة كثير من الفرق الأسلامية وبيان مذاهبها وستعجب من كثرة هذه الفرق وما كان لها من حرية فى إبداء آرائها والمحاجة عليها .

يقول ابن العربى الذى كان يعيش فى القرن الخامس فى كتابه العواصم من القواصم طبع الجزائر وردت بيت المقدس طهره الله فألفيت فيه ثمانيا وعشرين حلقه ومدرستين إحداهما للشافعية بباب الأسباط والاخرى للحنفية وكان فيه من رؤساء العلماء ورءوس المبتدعة على اختلاف طبقاتهم كثير ومن أحبار اليهود والنصارى والسامرة جملة لاتحصى فأوفيت

على المقصد من طريقه ووعيت العلم بتحقيقه ونظرت إلى كل طائفة بناظر رأيها وناظرتها بحضرت شيخنا أبى بكر الفهرى رحمه الله تعالى وغيره من مشيخة أهل السنة . اه

فانظر الى ابن العربى يسر لوجود هذه الفرق المختلفة لانه يقف على آراء كل فرقة من علماء أهلها فيجادلهم عن علم بما عندهم ولا تسيئه هذه الحال ولا يجزع من كثرة المخالفين .

بعد هذا البيان وبعد مانقلناه عن ابن خزيمة نقول إن وجود كتاب أو كتب لابن خزيمة فى التوحيد لاريبة فيه ولا شك إذ هو يؤلف فى فروع علم التوحيد ومشتملاته الكثيرة فالكتاب المزمع إصداره هو من مؤلفات هذا العالم الجليل لايستغنى عنه مسلم يريد أن يتفقه فى دينه .

التعريف بالمؤلف .

بقيت كلمة نقولها فى التعريف بصاحب هذا الكتاب وإن كان أشهر من أن يذكر بعد أن أطال فى ترجمته أمثال الذهبي وابن السبكى

اسمه ومولده

أما اسمه فهو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح السلمى النيسابورى ولد فى شهر صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين بنيسابور وتوفى فى ثانى يوم من شهر ذى القعده سنة إحدى عشرة وثلاثمائة بعد أن قطع نحو تسعين عاما من محيط الحياة ورثاه بعض أهل العلم من مريديه قال :

يابن اسحاق قد مضيت حميدا فسقى قبرك السحاب الهتون
ماتوليت لابل العلم ولى مادفناك بل هو المدفون

وجملة القول فيه إنه رجل من رجالات العلم ودعائم أهل السنة له تاريخ حافل حتى روى عن الحاكم أنه قال أن فضائل ابن خزيمة مجموعة عندى فى أوراق كثيرة .

شيوخه وتلاميذه

ولد بمدينة نيسابور ومنها نشأ وبها كان سماعه العلم فسمع من علمائها ثم تاقت نفسه الى الرحلة فى طلب العلم فسافر إلى أمهات الأمصار الاسلامية فدخل بغداد والرى والبصرة والكوفة والشام والجزيرة ومصر وواسط وفى كل بلد يلقى كبار علمائه فيأخذ عنهم حتى أخذ عن جمهرة كبيرة من علماء تلك الأمصار فسمع من إسحاق بن راهويه ومحمد بن حميد الرازى ولكن لم يحدث عنهما لانه تلقى عنهما فى صغره وأخذ وحدث عن محمود بن غيلان ومحمد بن إبان وإسحاق بن موسى وعتبه بن عبدالله وعلى بن حجر وغيرهم من كبار شيوخ عصره كذلك روى عنه كبار الشيوخ فممن روى عنه الشيخان الجليلان محمد بن اسماعيل البخارى ومسلم بن حجاج النيسابورى ولكن كانت رواتيهما عنه فى غير كتابيهما المعروفين بالصحيحين وكلاهما أكبر منه سنا ولعل ذلك هو السبب فى عدم رواتيهما عنه فى الصحيحين

وروى عنه أيضا يحيى بن محمد بن صاعد وأبو على النيسابورى وإسحاق بن سعد وأبو عمرو بن حمدان وغيرهم لانطيل بذكرهم

مذهبه وعلمه

كان ابن خزيمة منتسبا إلى مذهب الشافعى فى الفقه والى أهل السنة فى العقيدة اشتغل بفقه الشافعى فأتقنه قال أبو على الحسين بن محمد لم « مثل محمد بن اسحاق كان يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارىء

السورة. وقال ابن السبكى هو المجتهد المطلق والحبر الذى لايجارى فى الحجى ولا يناظر فى الحجاج جمع أشتات العلوم وارتفع مقداره فتقاصرت عنه طوالع النجوم وأقام بمدينة نيسابور والفتاوى تحمل اليه برا وبحرا وتشق الارض شقا .

وقال الحاكم إن الأمير أبا ابراهيم اسماعيل بن أحمد لما ورد نيسابور تلقاه علماء البلد ووجوهه فكان من بينهم ابن خزيمة والجارودى فتوهم الامير أن الجارودى هو ابن خزيمة لأنه لم يكن يعرفهم بأعيانهم فلما سلم ابن خزيمة لم يلتفت اليه الامير الالتفات اللائق به فسأل الامير أحد العلماء عن الفرق بين الفىء والغنيمة فقال له هذه من مسائل شيخنا أبى بكر محمد بن خزيمة فتيقظ الامير عندئذ وأمر حاجبه أن يقدم الشيخ اليه فلما قدم استقبله وعانقه واعتذر إليه من التقصير فى أول اللقاء ثم سأله عن الفرق بين الغنيمة والفىء فقال فى الحال. قال الله تعالى (واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى) وأخذ يقول حدثنا وأخبرنا راويا أحاديث كثيرة ثم قال قال الله عز وجل (ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله والرسول ولذى القربى) وأخذ يقول حدثنا وأخبرنا حتى عدوا مائة ونيفا وسبعين حديثا يوردها من حفظه فى الفىء والغنيمة .

ومما وقع له مع هذا الأمير أيضا ان الأمير كان يحدث عن ابيه بحديث وهم فى إسناده فرد عليه ابن خزيمة وأفهمه الصواب فلما خرج من عنده قال القاضى أبو ذر قد كنا نعرف ان هذا الحديث خطأ منذ عشرين سنة فلم يقدر واحد منا ان يرده عليه فقال ابن خزيمة لا يحل لى ان أسمع حديثا لرسول الله ﷺ فيه خطأ أو تحريف فلا أرده .

قلنا أن ابن خزيمة قدم مصر فى رحلته وقابل علماءها فأخذ عنهم وأخذوا عنه وهنا يشهد الربيع بن سليمان أحسن الشهادة فى حقه قال لأهل مجلسه هل تعرفون ابن خزيمة قالوا نعم قال استفدنا منه أكثر مما استفاد منا .

مؤلفاته :

ألف ابن خزيمة كثيرا من الكتب فى شتى العلوم والفنون ولكن ذهب أكثرها ومن أشهر ماذكره له العلماء كتابه فى الحديث المسمى بالصحيح مثل صحيح مسلم وصحيح البخارى حتى لقد فضله بعض كبار العلماء عليهما ولكن ليس لهذا الكتاب من أثر .

كذلك كتابه فى فقه الشافعى فقد رتبه ترتيب أبواب الفقه وترجمه بتراجم كثيرة تفنن فيها يورد فى كل باب الأحاديث المناسبة له على اختلاف طرقها ويقول ابن السبكى أن مؤلفاته أربت على مائة وأربعين سوى المسائل. والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء حتى ألف فى فقه حديث بريره كتابا ذا ثلاثة أجزاء (١)

ونختصر القول فنقول إن الرجل كان من كبار علماء وقته وعمر

(١) حديث بريره ورد فى كتب الصحاح رواه البخارى ومسلم ملخصه أن عائشة رضى الله عنها أرادت أن تشترى جارية لنفسها اسمها بريره فقال أهلها نبيعها لك على أن ولاءها لنا فذكرت عائشة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لايمنعك ذلك انما الولاء لمن أعتق وقد ذكر هذا الحديث مسلم فى صحيحه بروايات مطوله فليرجع اليه من شاء فى باب العتق من الكتاب المذكور

طويلا فكثرت تلاميذه وأصحابه وطال الجدل بينه وبين الفرق المخالفة مثل المرجئة والجهمية حتى سعوا فى الكيد له والتقول عليه ففرقوا بينه وبين كبار أصحابه وزجوا به فى الخلاف والفتنة بشأن القول بخلق القرآن وهى الفتنة التى كان لها أسوأ الأثر فى الاسلام غير انه بقى محفوظ الكرامة موسعا عليه فى الرزق مع العفة والزهد فى حطام الدنيا وبره بالاخوان

كالبحر يقذف للغريب جواهرا كرما ويبعث للغريب سحائبا

رحمه الله تعالى

محمود عرنوس

القاضى الشرعى

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر ولا تعسر — قال محمد بن اسحاق بن خزيمة رضى الله عنه .
الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون؛ والحمد لله الذى لا يؤدى شكره إلا بنعمة من نعمه الآلاء . ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته الذى هو كما وصف نفسه وفوق مايصفه خلقه ؛ واستهديه بهدايته الذى لايضل من أنعم عليه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ بعثه ﷺ والناس صنفان ، أحدهما أهل كتاب بدلوا من أحكامه وكفروا بالله تعالى فافتعلوا كفراً صاغراً بألسنتهم خلطوا بحق الله تعالى الذى أنزل اليهم ، فذكر الله تعالى لنبيه كفرهم فقال تعالى(وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب) الآية ؛ قال محمد ابن اسحاق رضى الله عنه هذا كتاب وضعته وصنفته والفته واخترته وجمعت فيه الحجج من كتاب الله تعالى ومن أخبار النبي ﷺ ومن اجماع الأمة ليكون حجة للعالم . ودليلا واضحاً للمتعلم ، ورداً على أهل البدع . ومن لم يحسن هذا الكتاب وجالس أهل الأهواء فان البدعية والمرجئة يزيلونه عن الطريق وإن كان عالماً فانه يقع فى قلبه شك من أقاويلهم وحججهم الباطلة . فليستدم النظر فى هذا الكتاب وليحفظ منه كل باب ويتفكر فيه لانه يجد فيه ما تنا كرمعهمذهبه من السنة والجماعة ، فانك إن عرفت هذه الاصول وتفهمت معانيها واحتجاجها فانك لاتزول عن السنة والجماعة ولا يتهيأ لمبتدعة أن يغلبوك وستغلبهم بهذه الحجج ؛ فانى غلبت أهل خراسان بذلك، وإن عامة أهل خراسان الغلبة عليهم الارجاء وهو مذهب خبيث ؛

وكنت الفت هذا الكتاب زماناً ليكون أصلا لاهل السنة والجماعة لانه روى عن النبي ﷺ باسناد صحيح أنه قال (تفرق بنو اسراءيل أمة موسى عليه السلام على أحد وسبعين فرقه ، وتفرقت أمة عيسى عليه السلام على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، كلها فى النار الا فرقة واحدة ، قيل يارسول وما الفرقة الواحدة قال ما أناعليه اليوم وأصحابى) قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه لايدرك طالب السنة والجماعة هذا المذهب الواحد حتى يتعلم هذا الكتاب ويحفظه حفظا ، كما يتعلم سورة من القرآن ، ويستعمله ، ولا يزيد فيه ولا ينقص منه فانى سألت فقهاء خراسان وفقهاء العراق وفقهاء مكة والمدينة وسائر البلدان والعلماء الذين أدركتهم على هذه المسائل فلم أجد عندهم الجواب ، ثم صنفت هذا الكتاب من فقه نفسى نصيحة للعلماء والمتعلمين ، وهذا كتاب محكم جامع لكل مايحتاج اليه المتعلم وفيه أحكام الدين ومعرفة الاصول ومعرفة المذاهب من أهل البدع والرد عليهم والاحتجاج معهم ، وكنت سئلت أولا عن التوحيد فقلت التوحيد هو الاسم والموحد هو الرجل . أصل التوحيد ماهو ، والدين هو الاسم ، والمتدين هو الرجل. أصل الدين ماهو . والايمان هو الاسم والمؤمن هو الرجل أصل الايمان ماهو ، والاسلام هو الاسم والمسلم هو الرجل. أصل الاسلام ماهو ، والسنة هو الاسم والسنى هو الرجل أصل السنة ماهو ، والعلم هو الاسم والعالم هو الرجل أصل العلم ما هو ، والبدعة هو الاسم والمبتدع هو الرجل. أصل البدعة ما هو ، والجهل هو الاسم والجاهل هو الرجل. أصل الجهل ماهو ، والزهد

هو الاسم والزاهد هو الرجل. أصل الزهد ما هو؛ والمحبة هو الاسم والمحب هو الرجل. أصل المحبة ماهو؛ والفقه هو الاسم والفقيه هو الرجل. أصل الفقه ماهو ؛ والصبر هو الاسم والصابر هو الرجل. أصل الصبر ما هو؛ والادب هو الاسم والاديب هو الرجل. أصل الادب ما هو والحكمة هو الاسم والحكيم هو الرجل. أصل الحكمة ماهو ؛ والقدر هو الاسم والقدرى هو الرجل. أصل القدر ماهو ؛ والارجا هو الاسم والمرجىء هو الرجل. أصل الارجاء ماهو ؛ والرفض هو الاسم والرافضى هو الرجل. أصل الرفض ماهو ؛ والاعتزال هو الاسم والمعتزلى هو الرجل. أصل الاعتزال ماهو والجهم هو الاسم والجهمى هو الرجل. أصل الجهم ماهو. والزندقة هو الاسم والزنديق هو الرجل. أصل الزندقة ماهو ، والعقل هو الاسم والعاقل هو الرجل. أصل العقل ماهو ، والمعرفة هو الاسم والعارف هو الرجل. أصل المعرفة ماهو ، والتوكل هو الاسم والمتوكل هو الرجل. أصل التوكل ماهو ؛ والشكر هو الاسم والشاكر هو الرجل . أصل الشكر ماهو ، والتوبة هو الاسم والتائب هو الرجل. أصل التوبة ماهو ؛ والسخاء هو الاسم والسخى هو الرجل. أصل السخاء ماهو ؛ والارادة هو الاسم والمريد هو الرجل. أصل الارادة ماهو والعمل هو الاسم والعامل هو الرجل. أصل العمل ماهو ؛ والذكر هو الاسم والذاكر هو الرجل. أصل الذكر ماهو ؛ والفكر هو الاسم والمتفكر هو الرجل. أصل الفكر ماهو ؛ والرضا هو الاسم والراضى هو الرجل. أصل الرضا ماهو ؛ والمعصية هو الاسم والعاصى هو الرجل أصل المعصية ماهو ؛ والدنيا هو الاسم والدنيائى هو الرجل. أصل الدنيا

ماهو ، والآخرة هو الاسم وطالبها هو الرجل. أصل الآخرة ماهو ، والحسد هو الاسم والحاسد هو الرجل. أصل الحسد ماهو ، والكبر هو الاسم والمتكبر هو الرجل اصل الكبر ماهو ؛ والكياسة هو الاسم والكيس هو الرجل. أصل الكياسة ماهو . والنفاق هو الاسم والمنافق هو الرجل أصل النفاق . ماهو والفسق هو الاسم والفاسق هو الرجل اصل الفسق ماهو ، والبخل هو الاسم والبخيل هو الرجل . اصل البخل ماهو ، والحرص هو الاسم والحريص هو الرجل . اصل الحرص ماهو ؛ والشوق هو الاسم والمشتاق هو الرجل . اصل الشوق ماهو ؛ والكرم هو الاسم والكريم هو الرجل . اصل الكرم ماهو ؛ والجهاد هو الاسم والمجاهد هو الرجل . أصل الجهاد ماهو ؛ والفهم هو الاسم والفهم هو الرجل . أصل الفهم ماهو ؛ والتقى هو الاسم والتقى هو الرجل . أصل التقى ماهو ، والشرف هو الاسم والشريف هو الرجل . أصل الشرف ماهو ؛ والرياء هو الاسم والمرائى هو الرجل . أصل الرياء ماهو ، والعجب هو الاسم والمعجب هو الرجل . أصل العجب ماهو ؛ والهوى هو الاسم والهوائى هو الرجل أصل الهوى ماهو ، والنحو هو الاسم والنحوى هو الرجل . أصل النحو ماهو ؛ والعروض هو الاسم والعروضى هو الرجل . أصل العروض ماهو وأنا أفسر ذلك كله إن شاء الله تعالى :



باب تفسير التوحيد

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه أصل التوحيد هوأن توحد ربك وتعلم أنه واحد ليس له شريك ولا ضد ولا شبيه ولا ولد ولا نظير وذلك فى القرآن حيث يقول جلت عظمته (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) ، يعنى ليوحدونى وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله محمد رسول الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)واجتمعت الامة على أن أول التوحيد قول لاإله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وأن ضد الايمان هو الكفر، وضد الكفر هو الايمان فاذا وحد ربه وعرفه بقلبه وأقره بلسانه فهو من الموحدين .

باب تفسير الدين

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه أصل الدين هو الاسلام الذى نحن عليه وهو دين الانبياء والحجة فى ذلك قول الله تعالى (إن الدين عند الله الاسلام) روى عن رسول الله ﷺ لما قال عبد الله بن سلام حبر يهود خيبر يعنى عالم يهود خيبر يامحمد أتدعونا الى دينك أوإلى دين الله تعالى ، فقال أدعوكم إلى دين الله تعالى ، فقال الله تعالى (لكم دينكم ولى دين) يعنى دين الاسلام.ودينكم دين الكفر ، واجتمعت الامة على أن الدين عند الله الاسلام وهو دين الحنيفية دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين .

باب تفسير الايمان

قال محمد بن إسحاق رضى الله عنه: أصل الأيمان ثلاثة أشياء متصل بعضها ببعض مجتمع فى أصل واحد كشجرة عليها ثلاثة أغصان ، ومثل ذلك فى القرآن (كمثل شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء). يعنى النخل أصلها ثابت مجتمع وفيها الخوص. والليف، والتمر، والايمان ، ظاهر وباطن . أما الظاهر فالقول باللسان ، وأما الباطن فهو تصديق بالقلب ، وأما تفسير الايمان الثلاثة فهو القول والعمل والنية لايستغنى مؤمن بالحقيقة حتى تجتمع فيه هذه الخصال الثلاثة ، القول بمنزلة الرأس ، والعمل بمنزلة الجوارح ، ، والنية بمنزلة القلب ، ولا يقع عليه اسم الرجل حتى يكون له رأس وجسد وقلب. فاذا سقط عنه واحد من هذه الثلاثة سقط عنه اسم الرجل . فكذلك لايقع على الرجل اسم الايمان حتى تجتمع فيه هذه الثلاثة الأشياء والأيمان أشياء جوامع أصله هذه الثلاثة التى ذكرتها والحجة فى ذلك قول الله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وماأنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، اولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) وقال تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الآية: وقال تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله) الآية. وقال تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) فهذا ذكر القول والعمل ، وأما النية فى القلب

فهو قول الله تعالى:(ألا لله الدين الخالص) والاخلاص من النية فى القلب ، ثم قال تعالى :(ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) والحجة من الحديث ماروى عن رسول الله ﷺ أنه أتاه جبريل عليه السلام فى صورة اعرابى يسئله عن الايمان .فقال:يامحمد ما الايمان؟قال (أن تؤمن بالله واليوم الآخر وملآئكته وكتبه ورسله والجنة والنار والقدر كله خيره وشره حلوه ومره حسنه وسيئه محبوبه ومكروهه ظاهره وباطنه أوله وآخره والبعث بعد الموت من الله تعالى) فذكر أن تؤمنوا بالكتب كلها،وأن الايمان بالكتب هو العمل بما فيها،والايمان بالرسل كلها هو العمل بما أمروا،والأيمان بالله تعالى هو وحدانيته والقيام بأمره ونهيه فهذا هو العمل ، وقال الله تعالى جل ذكره فى موضع آخر : (وما كان الله ليضيع ايمانكم) يعنى صلاتكم الى البيت المقدس فسمى الله تعالى الصلاة بالايمان، والايمان بالصلاة ، وقال تعالى:(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) الآية.وقال النبى ﷺ (انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء مانوى) وقال عز وجل فى قصة المنافقين (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا) يعنى آمنوا باللسان وكفروا بالقلب ثم قال جل ذكره (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم)وأجمعوا كلهم يعنى أمة محمد ﷺ لو أن رجلا لو آمن باللسان ولم يؤمن بالقلب لم ينفعه ذلك الايمان فى الآخرة وأنه منافق يخلد فى النار . والأيمان يزيد وينقص ، والحجة فى ذلك قول الله تعالى(زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون)وكلما زاد نقص(١)

(١) بين المؤلف أن الاية أفادت زيادة الأيمان وكل شىء قابل للزيادة قابل للنقصان لذلك قال (وكلما زاد نقص) أى كل شىء قبل الزيادة فهو قابل للنقصان

والايمان قول وعمل ونية : قول باللسان. وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله . والنية وهى : المعرفة والتصديق والأخلاص فى القلب . والعمل هو: عمل بالاركان مثل الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد والوضوء، وغسل الجنابة وأداء الفرائض والاجتناب من الكبائر والذنوب ورد المظالم، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر . فذلك هو العمل يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية ، يزيد بالمعرفة ، وينقص بالغفلة ، ولا ينفع القول بدون العمل، ولا ينفع القول والعمل إلا مع النية ، ولا ينفع القول والعمل والنيـة إلا مع مايوافق سنة رسول الله ﷺ والاستثناء فى الأيمان سنة ماضية من السلف والعلماء والتابعين. والاستثناء فى الايمان أن يقول الرجل أنا مؤمن ان شاء الله، وأنا مؤمن أرجو ، ومن قال أنا مؤمن حقا فهو مرجىء مبتـدع منافق خارج من الجماعة . وروى عن الحسن رحمه الله أنه قال : من قال أنا مؤمن حقا فهو كافر حقاً ، وروى نحو ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ . وقال اسحاق بن راهويه عالم أهل الشرق : من قال أنا مؤمن حقا فهو كافر حقا، ومن لايرى الاستثناء فى الايمان فهو مرجىء ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال (المرجئة والقدرية ، هالـكان فى النار) وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «صنفان من أمتى لا تنالهما شفاعتى المرجئة والقدرية» ومن قال أنه لا يتفاضل الناس فى الايمان فقد رد كل آية أنزلها الله تعالى على الأنبياء والرسل فى زيادة الايمان ، ومن رد آية فى كتاب الله فهو كافر بالله مخلد فى النار ، ومن زعم أن إيمانه كايمان

جبريل وميكائيل عليهم السلام والملائكة والنبيين أجمعين. فقد كفر بالله العظيم ورسله لأن الله يقول: (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وقال الله تعالى: (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما) ومن لم يقل أنا مؤمن إن شاء الله فهو مرجىء ملعون. فان سلم عليك فلا ترد عليه جواب السلام. وإن مرض فلا تعوده، وإن مات فلا تصلى عليه، لأن المرجىء عندنا كافر لقول النبي ﷺ ولقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد صح الحديث فى ذلك عنه، ولقد أدركت رجالا من العلماء والفقهاء بالعراق وسائر البلدان فسألتهم عن الايمان فقالوا بأجمعهم: الايمان قول وعمل ونية يزيد وينقص ورأوا الاستثناء فى الأيمان وقالوا بأجمعهم نحن مؤمنون إن شاء الله. وقالوا الاستثناء فى الايمان ليس شك بل يكون تأكيدا ومن قال إن الايمان قول والعمل شرائع فهو مرجىء أخبث المرجئية والايمان باب دقيق صعب قد هلك فيه كثير من العلماء والجهال فان أردت أن تتخلص من هذه البدع فعليك بالتمسك بآثار النبي ﷺ وسننه وطريقة السلف حتى تنجو بالسلامة.

باب تفسير الاسلام

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: أصل الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة إن وجبت عليه، وصيام شهر رمضان، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا، والاستطاعة الزاد، والراحلة، لقوله تعالى: (ومن أحسن قولا ممن دعا

إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) وقوله عز وجل:(وهدوا إلى الطيب من القول) يعني قول لا إله إلا الله. وقوله تعالى (وقولوا قولا سديداً) يعني قول لا إله إلا الله .وقوله عز وجل: (وألزمهم كلمة التقوى) يعنى قول لا إله لا الله وقوله عز وجل:(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) يعنى قول لا إله الا الله ، ومثل ذلك فى القرآن كثير. وروى أن النبي ﷺ قال «بنى الاسلام على خمسة أركان ـ شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله؛ واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم شهر رمضان ؛ وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » والحديث الذى جاء به جبريل (عليه السلام) الى النبي ﷺ فى صورة اعرابى فسأله عن الاسلام والاحسان كما روى. ثم قال النبي ﷺ بعد ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه «يا عمر هل عرفتم السائل ـ قالوا لا ـ قال كان جبريل عليه السلام جاءكم ليعلمكم أمر دينكم » واجتمعت الأئمة على أن الاسلام قول شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله ؛ وإقام الصلاة المفروضة وتعلم أنها من الاسلام . وتؤدى الزكاة وتعلم أنها من الاسلام ، وتصوم شهر رمضان وتعلم أنه من الاسلام؛ وتحج البيت وتعلم أنه من الاسلام ؛ وتتوضأ من الحدث وتعلم أنه فرض؛ وأنه من الاسلام والغسل من الجنابة والحيض والنفاس للنساء وتعلم أنه من الاسلام؛ مفروض عليهم ؛ لأنه قال عليه السلام: «الوضوء نصف الايمان» فاذا فعل ذلك كله فهو رجل مسلم ويحتاج أن يقول أنا مسلم والحمد لله ، وأنا مؤمن إن شاء الله ، وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ، والمؤمن من أمن

الناس بوائقه » أى شره ، وينبغى للمسلم أن يترك المعصية ويرد المظالم ويتوب من شرب الخمر والزنا واللواط وقتل النفس. وأن يحب للناس مايحب لنفسه ، وينصح أولا لنفسه ثم ينصح لله ورسوله وللمسلمين خاصهم وعامهم لما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « ألا إن الدين النصيحة » قالها ثلاثا . قيل يارسول الله لمن النصيحة. قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولجميع أمة محمد » ﷺ وأما اليهود والنصارى والمجوس وسائر الكفار إذا قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فأنهم لايكونون مؤمنين بالحقيقة حتى يتبرؤا من كل دين خالف دين الاسلام ، وقالوا ديننا دين الاسلام ، فاذا قالوا ذلك فقد دخلوا فى دين الاسلام.

واعلم أن الرجل إذا شرب الخمر فقد نقص إيمانه . وإذا زنى نقص إيمانه . وإذا سرق نقص إيمانه ؛ بل هو مسلم بحالة لاتخرجه عن الاسلام . ولا نشهد عليه بجنة ولا نار ، لأن الشهادة بدعة لغير من شهد عليهم النبى ﷺ فاذا تاب من ذلك كله زاد إيمانه فكل شىء زاد ينقص ومثل ذلك مثل القمر ينقص ويذهب ضوءه ثم يزيد ، فكذلك الايمان يزيد وينقص ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن؛ ولا يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن » وهذا خبر صحيح عن النبى ﷺ وهو رد على المرجئة الذين يقولون: إن الايمان قول بلا عمل وإن الايمان لايزيد ولا ينقص ؛ وقد كذبوا على الله ورسوله لأن الله تعالى يقول فى صفة المؤمن: (ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً) الآية.

باب تفسير السنة والجماعة

قال محمد بن إسحاق رضى الله عنه : أصل السنة هى الاتباع لآثار رسول الله ﷺ واثبات الخلافة لابى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى. وتقول خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم أجمعين . وهم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون . والترحم على جميع أصحاب النبي ﷺ وأزواجه وأصهاره وأهل بيته والمهاجرين والأنصار. وأما الجماعة فهى طاعة للسلطان وأولى الأمر وأن لا نخرج عليهم بالسيف وإن جاروا ، وانما زل أهل البدع من السنة والجماعة باتباعهم الهوى والقياس ، لأنه روى عن كعب الاحبار رضى الله عنه أنه سئل عن هذا فقيل يا أبا اسحاق: ان ديننا واحد، ونبينا واحد، والهنا واحد، وكتابنا واحد، فمن أين جاؤا هؤلاء بهذه البدعة . فقال: لأنهم اتبعوا أهواءهم فضلوا ودخلوا البدعة وانما سميت السنة سنة لأن السنة هى طريق الانبياء والحجة فى ذلك قول الله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) يعنى أبا بكر وعمر وعثمان وعلى والأئمة من بعدهم ، وقال جل وعز : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد بين الله الخلافة لابى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى رضوان الله عليهم فى كتابه المنزل على نبيه المرسل فقال تعالى: (محمد رسول الله) يعنى محمد نبي الله اختاره من أهل السموات وأهل الارضين (والذين معه) يعنى أبا بكر وهو عتيق ابن أبي قحافة (أشداء على الكفار) يعنى عمر الفاروق بن الخطاب (رحماء بينهم) يعنى عثمان بن عفان (تراهم

ركعاً سجداً) يعنى على بن أبى طالب رضى الله عنهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) يعنى يطلبون فضلا من الله وثوابا يعنى الجنة (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) يعنى نظرهم فى الصلاة الى موضع السجود وقد تبين فى وجوههم نور الاسلام (ذلك مثلهم فى التوراة) يعنى هكذا مثلهم فى توراة موسى كما ذكرهم فى القرآن (ومثلهم فى الانجيل) يعنى هكذا صفتهم فى انجيل عيسى عليه السلام . ثم ذكر الله تعالى فضلهم وكرامتهم على الله فقال تعالى فيما وصفهم:(كزرع أخرج شطأه) يعنى أول مايخرج الزرع من الارض يعنى أبا بكر (فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) استغلظ يعنى محمد على ساقه كما استغلظ الزرع على سوقه يعنى بعمر بن الخطاب (يعجب الزراع) يعنى ستر الحبوب فى سنبله تبين العدد والقوة بعثمان (ليغيظ بهم الكفار) يعنى على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين يغيظ بهم الكفار يعنى يحارب به الكفار فيظهر الدين ويعزه ويذل الكفار على يديه فمن لم يقل كما قال الله تعالى فهو من الكفار (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن يحبهم وقاموا بأمر الله ونهيه (منهم مغفرة) يعنى ان الله يغفر لهم ولمن أحبهم (وأجراً عظيما) يعنى أجراً تاماً جسيما كثيراً فى الدنيا والآخرة ، والسنة فى ذلك أن تقول كما قال الله تعالى (محمد رسول الله) وهو خير البشر وأبو بكر فى الجنة وهو خير خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعت الصحابة على خلافته لم يخالف فيها أحد واستقبل أبو بكر علياً (قائلا له) (١) مابدالك وقد أسمت قبلك وكنت أؤلف القرآن ثم قام أبو بكر بعد ثلاثة أيام وقد اجتمع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى خلافته وبايعوه . فقال: لاحاجة

(١) يشير المؤلف بذلك إلى تخلف على عن مبايعة أبى بكر ، فانه تخلف عن المبايعة معتذرا بمرض فاطمة زوجه رضى الله عنها ثم بايع

لى فى هذه الخلافة أقيلونى. أقيلونى. فما قام إليه أحد إلا على بن أبى طالب فقال والله ما نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله ﷺ فمن الذى يؤخرك. ثم تقول عمر بن الخطاب فى الجنة وهو الخليفة بعد أبى بكر اجتمع أصحاب النبى ﷺ فى خلافته وبيعته وعلى معهم. ثم تقول وعثمان فى الجنة وهو الخليفة بعد عمر بأجماع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ثم تقول وعلى فى الجنة وهو الخليفة بعد عثمان وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج خير نساء العالمين وأبو الحسن والحسين رحمة الله عليهم أجمعين. وسعد فى الجنة. وسعيد فى الجنة وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة : شهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة. فنحن نشهد أيضا لهم بالجنة ونترحم على أصحابه وندع ما شجر بينهم ؛ ونؤمن بالقدر خيره وشره ؛ وحلوه ومره من الله تعالى. ونعلم أنه بقضائه وقدره ومشيئته وإرادته ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك. كل ذلك مفروغ منه ؛ والقرآن كلام الله غير مخلوق ولا محدث بل هو كلام الله القديم الازلي ؛ ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه أنه حق وبعث الملكين اسمهما منكر ونكير الى كل أحد سوى النبيين ، فيسئلان من ربه ؟ ومن نبيه ؟ ودينه ؟ ونؤمن بأن الله خلق آدم على صورته وليس علينا كيفية ذلك ، ونصلى خلف كل بر وفاجر وذلك يوم الجمعة والعيدين ؛ ونصلى على من مات من أهل القبلة ولا نكفر أحداً من المسلمين بذنب صغيرة كانت أو كبيرة فأمره الى الله تعالى ؛ ونعلم أن الجنة والنار مخلوقتان خلقهما الله تعالى قبل خلق الخلق ؛ وخلق للجنة أهلا. وللنار أهلا ، ثم خلق آدم فأخرج

ذريته من ظهره وأراهم آدم عليه السلام وأخذهم قبضتين فقال هؤلاء الى الجنة ولا أبالى، وهؤلاء إلى النار ولا أبالى ؛ وكل يصيرون إلى ماخلقوا له وتترك الجدال والخصومات فى الدين . وإياك والجلوس مع أهل البدع والمناظرة معهم ؛ وعليك بمذهب أهل السنة والجماعة وتمسك بها . وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر » رضى الله عنهما وقال : (ﷺ) «ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين خير من أبى بكر وعمر » وقال كعب رضى الله عنه: وجدت فى التوراة أن الله اختار من الملائكة أربعة ، واختار من ولد آدم سوى النبيين أربعة. واختار من أهل السموات أربعة. جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ، فاسم جبريل عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله، واسم اسرافيل عبد الرحمن؛ واسم ملك الموت عزرائيل ؛ واختار من النبيين أربعة آدم صفيه، وابراهيم خليله، وموسى كليمه، ومحمد نبيه وحبيبه ، واختار من ولد آدم سوى النبيين أربعة أبا بكر . وعمر . وعثمان . وعلى رضوان الله عليهم أجمعين . واختار من الكلام أربعة، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

باب تفسير العلم

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: أصل تفسير العلم أن ضد العلم هو الجهل . وضد الجهل هو العلم . والعلم هو الخشية لله عز وجل فى السر والعلانية ، وأن لايخاف غيره ولا يرجو سواه ولا يشتغل بعبادة غيره ولا يؤثر عليه شيئا من أمور الدنيا والآخرة . والحجة فى ذلك قوله تعالى فى محكم كتابه: (انما يخشى الله من عباده العلماء) وفرض الله

تعالى على عباده تعليم العلم فقال عز من قائل: (كونوا ربانيين) يعنى علماء فقهاء، وقال الله تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم) يريد بذلك إذا قام طائفة بطلب العلم سقط عن عامتهم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال عليه السلام « اطلبوا العلم ولو بالصين » وقال النبي عليه السلام « الناس ثلاثة عالم، ومتعلم، وهمج، لاخير فيه » وقال عليه السلام « العلماء ورثة الأنبياء » ويحتاج العالم أن يعمل بعلمه زاهداً فيما حرم الله عليه. ورعاً عند الشبهات، حزين القلب، باكى العينين، ويعلم الناس علمه. ولا يبخل ولا يأخذ عليه أجراً، ولا يريد به دنيا وتفاخراً وحرصا لجمع الأموال فان لم يكن كذلك فهو جاهل بعلمه وهو الى الجهل أقرب. وقال عليه السلام « فضل العالم على سائر الناس كفضل الانبياء على سائر الناس » وقال النبى عليه السلام « ويل لمن لايعلم مرة، ولو شاء الله لعلمه. وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات » فدل قول النبى صلى الله عليه وسلم أنه يحتاج العالم أن يكون ورعا زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة ناصحا للخلق، طالبا للخير تاركا للشهوات والذنوب، خائفا خاشعا لله واثقا بالله، ساهراً بالليل، صائما بالنهار، متواضعا للخلق. ويكون الفقر أحب اليه من الغنى كما كانت الانبياء، فاذا لم يكن على هذه الصفة فهو جاهل وينبغى للمسلمين أن يتواضعوا للعلماء وينفقوا أموالهم على العلماء ويكرمون أهل العلم ويطلبوهم أشد الطلب، وأجمعوا كلهم على أن طريقة أهل العلم والمسلمين على هذا السبيل، ونظير ذلك فى القرآن (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) الآية: وقال تعالى

للسفهين: (فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) وقال عليه السلام «من علم مسلماً شيئاً من أمر دينه قلده الله تعالى يوم القيامة بقلادة من نور يتعجب منه الاولون والآخرون » وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » والمعنى فى ذلك أنه يحتاج العالم أن يتعلم العلم لله لاللرياء والسمعة وأن يعلم الناس مجاناً كما علمه الله ويعمل به وينصح فى تعليمه ولا يزيد على متعلم ولا ينقص شيئا بل يؤدى الأخبار كما سمعها فانه روى عن رسول الله ﷺ أنه قال « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

باب تفسير البدعة

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: أصل البدعة اتباع الهوى وهى ضلالة . والبدعة هى الكفر بعينه قال الله تعالى: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) فجعل الهوى معبودا من دون الله تعالى فأى الكفر أعظم من ذلك يترك العلم ويتبع هواه ؛ وقال النبى ﷺ « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » واجتمعت الأمة على أن البدعة شىء محدث يقال ابتدع فلان أى زال عن الطريق واتبع شيئا باطلا وترك السنة والجماعة ، والمبتدع لايؤمن بالقرآن ولا بخبر الرسول ﷺ لانه يرد كلامهما وليس شىء فى الدنيا أحلى من البدعة ، والحق ثقيل مر والباطل خفيف حلو .

باب تفسير الجهل

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: أصل الجهل هو الغفلة والجاهل

غافل عن الله تعالى .غافل عن الآخرة. همته المعصية ؛ وارادته الدنيا والحرص على جمع الأموال ؛ يصبح غافلا ويمسى غافلا ، يحب الدنيا وطلاب الدنيا والشهوات واللذات ، ويركب الكبائر والمحارم .ويفترى على الله ، والحجة فى ذلك قول الله تعالى:(فكبكبوا فيها هم والغاوون) والغاوى هو الجاهل .وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن الله تعالى يقول للجاهل لم عصيتنى ؟ فيقول يارب لم أعلم .فيقول الله تعالى لم جهلت فيؤمر به إلى النار » وانما العالم من يعمل بعلمه ويزهد فى الدنيا ويعمل للآخرة ؛ والجاهل الذى لايحسن العلم ويعمل بلاعلم فيكون مايفسد أكثر مما يصلح ؛ وقد قيل نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل ، وانما خلق الله الجنة لمن يعمل بالعلم من أهل التوحيد لقوله تعالى:(جزاءاً بما كانوا يعملون) وخلق النار للكفار والجهال لقوله تعالى (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) وليس شىء أكرم على الله من العالم العامل وليس شىء أهون على الله من الجاهل الغافل ؛ فكن عالماً أو متعلما ولا تكن الثالث فتهلك . والثالث هو الجاهل ؛ والجاهل كالبهائم ، فان الله تعالى يقول:(أولئك كالانعام بل هم أضل) .

باب تفسير الزهد

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه:أصل الزهد هو ترك الدنيا وقلة الأكل من الحلال وقلة الكلام وقلة الانبساط للخلق ، ويزهد فى راحة الدنيا فى الفراش والنوم وأكثر الشهوات ، ويرغب فى راحات الآخرة من الصلاة بالليل والصوم بالنهار وذكر الموت والاستعداد له وقلة الضحك والمزاح ؛ والتمسك بالحلم والصبر والشكر والتواضع وحسن الخلق والسخاوة وقراءة القرآن ؛ ولا يزال متفكراً قلبه فى خلق

السموات والأرض ولسانه يذكر الله تعالى ، وإنما الزهد زهدان. زهد فرض، وزهد مباح ، فأما الزهد الفرض فهو زهد فى الحرام ، وأما الزهد المباح فهو الزهد فى الحلال . وهو زهد الأنبياء يعمل بطاعة الله بالليل والنهار لا يشبع من العبادة وهانت عليه مصيبات الدنيا ، ويصبح ويمسى وليس فى قلبه غش لمسلم ولا يحبس من الغداء للعشاء، ولا من العشاء للغداء ، يعد نفسه فى ضمن الأموات ويقصر أمله ، ويدعو ربه ليلا ونهاراً، ويرحم الخلق ، ويخرج من الدنيا جائعا، ويشتهى شهوة فلا يجدها . ليس له مسكن مجتمع ، ولا لباس مرتفع ، شعث الرأس أغبر الثياب ، ان خطبوا الناس لم ينكحوا ، وان استأذنوا على الأمرا لم يؤذنوا . لا يتكبرون على أحد ، ولا يتفاخرون ولا يتدابرون ولا يتقاطعون ، ولا يكذبون ولا يسرقون ، ولا يتلوطون ولا يغتمون للدنيا ، قد توكلوا على الله بالكلية لا يسئلون من الرب تعالى إلا الجنة، ولا يتعوذون به إلا من النار ، الدنيا سجنهم غرباء عند الخلق ، العلم دينه ، والصبر مركبه ، والصلاة نوره ، والصيام جنته. والحلم علامته والشكر تاجه ، وحسن الخلق همته ، قد تحير من الخوف ، وخوفه ورجاؤه منه سوآء وفقنا الله تعالى للزهد برحمته .

باب تفسير المحبة

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل المحبة هو الحب فى الله والبغض فى الله ويؤثر محبة الله على الدنيا والآخرة ، ويحب ما أحب الله ويبغض ما أبغض الله له ثلاث علامات وثلاث صفات، وثلاثة أعمال، وثلاثة أخلاق ، فأما الثلاث علامات فأولها الزهد فى الدنيا ونعيمها

والثانى الوحشة من الخلق قد قطع من المخلوقين بالكلية ، والثالث كتمان أحواله مع الله تعالى من المخلوقين لأجل الله ، وأما الثلاث صفات فأول ذلك قلة الأكل وقلة الكلام ، وقلة النوم ، وأما الثلاثة أعمال فهو قيام الليل ، وصيام النهار . وطلب العلم ، وأما الثلاثة أخلاق فالسخاء ، وبذل النفس لله وحسن الخلق مع بكاء طويل . ويكون شاكراً لنعماء الله صابراً على بلائه ، راضيا بقضائه كلامه الذكر وقراءة القرآن ، والدعاء همته والتفكر فيما بعد الموت ، لايهمه الأكل ، ولا يشغله الجوع من محض المودة وصفاء الخلة ، قد اشتغل قلبه ولسانه وجوارحه بحب الله تعالى لايحسب أنه فى الدنيا أو فى الآخرة ، ولا يأتى عليه ساعة وهو غافل عن الله تعالى ، قد مثل نفسه كأنه واقف بين يدى الله تعالى ينظر إلى الله بعين القلب ، قد سقاه من محبته بكأس الوداد ، سقاه المحبة فأسكره فى الدنيا حتى لايحس بالجوع والعطش والعرى والحر والبرد ، قد ألف قلبه بالشوق الى مولاه ، نشاطه فى الوحدة ، مناجاته مع الله تعالى بالليل والنهار ، ولا ينام بالليل لأنه عار على المحب أن ينام بالليل والنهار إذا علم أن الحبيب لاينام ، فمن محبته لله أنه قد نسى أمور الدنيا وشهواتها ولذاتها ، لايحب الدنيا ولا الدور ولا القصور ، يبيت مع الوحش ، ويأكل الحشيش ، ويمشى على الماء ، ولا يكون عنده قدر للمشى على الماء قد رضى من الله تعالى بما يفعل به وآثر رضا الله على رضا نفسه ، قد سلم نفسه إلى الله تعالى ، ورفع الاختيار فيما بينه وبين الله تعالى ، يصبح ويمسى كأنه دهش وكأنه قد أقبل من الآخرة أجسادهم فى الارض ، وأرواحهم تطوف حول العرش ، لايصيحون بين الناس بل يكتمون أحوالهم مع الله ولا يظهرون للخلق ، وقد روى

عن الحسن البصرى رضى الله عنه أنه صاح رجل بين يديه فقال: إن كنت تريد بذلك الله تعالى فقد شهرت نفسك وأخاف عليك أن تسقط من تلك الدرجة ، وإن لم يكن ذلك لله فقد أهلكت نفسك فى الآخرة. يضحك بين الناس فى الظاهر، ويبكى بقلبه ولا يؤذى خلقا من خلق الله حتى النملة والقملة حياء من الله ، ولا يأكل إلا من كسب يده، وينفق الفضل من قوته ، ولا يطلع على سره أحد لأن ربه غيور إذا مال عبده إلى شىء دون الله طرده من بابه ، يختار الفقر على الغنا ، والجوع على الشبع ، والعلة على الصحة ، والآخرة على الدنيا ، والرب على الدنيا والعقبى والتواضع على الكبر ، والذل على العز ، وانما أصل المحبة هى الطاعة والرغبة فى النوافل والأعمال الصالحة لقول الله عز وجل: (سيجعل لهم الرحمن وداً) يعنى حبا وقيل فى التفاسير إن الله تعالى يلقى محبته فى قلوب عباده حتى يحبونه ، وهذا يدل على أن الله تعالى قد أحبه ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال «إذا أحب الله عبداً ابتلاه ليدعو الله ويسمع تضرعه » وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « يقول الله تعالى لن ينجو العبد منى إلا بأداء ماافترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ولسانه الذى ينطق به، وقلبه الذى يتفكر به، ويده التى يبطش بها ، إن دعانى أجبته ، وإن سألنى أعطيته »وأجمعوا كلهم على أن محبة الله فرض على كل مسلم لقوله تعالى: (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) وإنما معنى المحبة هى الطاعة لله ولرسوله وحب ماأحب الله، وبغض ماأبغض الله، وفقنا الله وإياكم للمحبة برحمته.

باب تفسير الفقه

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: أصل الفقه يكون فى القلب وهى الكياسة والمعرفة والبصر ، ولا يكون الفقيه فقيهاً حتى يتعلم الأدب والحديث ، ويقرأ تفسير القرآن والناسخ والمنسوخ ومتى الفقيه فقيهاً لمعرفته بالجواب والمسآئل ، والفقه هو فهم الرجل وفطنته ، فاذا كان فطناً عارفا عاقلا فهما كيسا يعرف وزن الكلام ، ويكون مجتهدا فى تعليم الأصول وحفظها ، فاذا كان على هذا المثال فهو فقيه ، وينبغى أن يكون عارفا لأحاديث النبى ﷺ عارفا بتفسير القرآن وأحكام الدين متأنيا فى الجواب غير مستعجل ، عارفا بأقاويل العلماء والأحاديث المختلفة . ويختار ما يوافق الآيات والسنة ، عارفا بأهل زمانه ، متواضعا لجميع الناس ، متدبرا فى كل مسألة متفكرا فيها ، فكلما وافق قلبه وعقله ورضيه لنفسه أفتى به ونظير ذلك فى القرآن حيث يقول: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طآئفة ليتفقهوا فى الدين) الآية ، وقال تعالى: (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) يعنى العلماء والفقهآء وابن عباس منهم ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال « من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها حشر يوم القيامة فقيها » وهذا يدل على أنه ينبغى أن يكون حافظا للأحاديث والأصول حتى إذا سئل مسألة أخرجها من الحديث والكتاب ، أو من الاجماع والقياس ، قياسا يشبه الأصل يفتى به ، وأجمعت الأئمة على أن تعليم العلم فرض على الكفاية لقوم تعالى :(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) وقال

النبى ﷺ: « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » وهذه عطية يعطيها الله لمن يشاء ؛ ويتولد ذلك كله من الورع والنظر فى الأثر .

باب تفسير الصبر

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : انما أصل الصبر من الاستسلام لربه تعالى والرضاء بقضائه واحتمال الأذى لله تعالى وذلك فى خمسة أشياء ؛ إذا أصابه الجوع لايسئل الناس شيئا بل يصبر الى أن يفتح الله شيئا من غير مسألة ، وإذا نزلت به مصيبة لم يشكو إلى المخلوقين بل يصبر ويقول (إنا لله وإنا اليه راجعون) والثالث يصبر على ترك المعصية فلايعصى الله ، والرابع إذا اشتهى شهوة حبس نفسه عن ذلك ويصبر عنها ، والخامس إذا أصابه وجع أو شدة يصبر ولا يشكو إلى أحد ، وانما الصبر صبران صبر عن المعصية وصبر على الطاعة ، وانما مثل الصابر كالذى يأكل الصبر لايتهيأ لأكله إلا بالحيل فانه مر ثقيل على النفس ، فأصل ذلك موافقة الله تعالى ومخالفة النفس لأن النفس لاتأمر إلا بالسوء والشر كماقال الله تعالى (إن النفس لأمارة بالسوء) والصبر هو مخ الطاعة والرضا باليسير من الدنيا وبغض أهلها ، وحب الآخرة وحب أهلها ؛ والصبر صبران صبر فرض ؛ وصبر تطوع ؛ فالصبر الفرض القيام بأمر الله وترك مناهيه ، حتى إذا انتهى الى معصية صبر ولم يفعل فذلك الصبر الفريضة عليه استعماله ، وأما الصبر التطوع فهو قيام الليل وصيام النهار وطول الصمت وقلة الأكل واحتمال الأذى من جميع الناس ، وإذا نزلت به شدة أو بلاء أو جوع أو ضيق أو ضر

أو أحزان أو خسران أو فقر صبر لله ولم يشكو إلى المخلوقين ، وقد وصف الله تعالى وصفهم فى محكم كتابه:(والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس) الآية ، وقال تعالى:(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وقال (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) واعلم أن للصبر درجة عظيمة وندب الله تعالى نبيه عليه السلام فقال:(فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) وقال تعالى:(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وقال تعالى:(ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة)وقال عليه السلام: « الصيام نصف الصبر » فدلنا ﷺ أن الصبر هو الطاعة وترك المعصية ، والصبر على المصايب والبلية وترك الشكوى إلى المخلوقين لقوله عليه السلام:« من كنوز البر كتمان المصايب والامراض والصدقه » وروى عن كعب رضى الله عنه أنه قال : تكلم طير بين يدى سليمان بن داود عليهما السلام فقال سليمان أتدرون مايقول هذا الطير؟ قالوا لا . فقال سليمان: إن هذا الطير يقول من سكت سلم، ومن صبر ظفر ، فالصبر مفتاح الفرج ، والصبر صفة الانبياء والصالحين.

باب تفسير الأدب

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: فأصل الأدب العطية وعرفان النفس والأديب لايعرف إلا بثلاثة أشياء بأن لايفعل شيئا يعاب عليه ، ولا يتكلم بشىء حتى يتفكر فيه فى نفسه ، ويعرف أقدار الناس ولا يرفع

نفسه عند الناس الا أن يرفعه الناس ، وينفق المال على طلب الأدب، ولا يدرك الأدب إلا بالأنفاق كما قال الشاعر

من تحلى بغير ماهو فيه * فضحته شواهد الامتحان

ويحتاج الأديب إلى بذل النفس والمواساة مع الاخوان ؛ والسخاء والتواضع للناس وكثرة السؤال ومخالطة أهل الأدب ومجالسة أهل العلم وحفظ مايتعلم والاحتمال للناس ، ولا يذكر أحداً بسوء ، ولا يغتاب أحداً ولا يطعن على أحد ، ولا يلعن أحداً ويكون طلبه الأدب لله تعالى ؛ ويكون أول ذلك تعليم القرآن وحفظه ومعانيه وإعرابه ؛ والثانى تعليم العربية والنحو والأشعار المباحة ؛ والثالث طلب الحديث والأحكام الشرعية وحفظها ؛ فاذا تعلم هذه الأشياء الثلاثة وعمل بها فقد بالغ فى تعليم الأدب لله تعالى ؛ واعلم أن أصل الأدب ثلاثة أشياء ، طول الصمت ، والمداراة مع الناس ؛ والتواضع لكل أحد وان كان شريفا ؛ وثلاثة أشياء من علامة الحمق ، قلة الأدب وكثرة الكلام ، وكثرة الخصومات

باب تفسير الحكمة

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الحكمة هو الكلام الحق وما فيه المنفعة ؛ وأصل الحكمة فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى: (يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعنى تكلم بالحكمة والموعظة الحسنة، والحكمة معنى فى القلب ، وقال النبي عليه السلام : « أن من الشعر

حكماً » يعنى الكلام الحق ؛ والحكمة هى كلام يوافق الكتاب والسنة، وكلما فكر بقلبه أو تكلم بلسانه بما يوافق العلم فهى الحكمة ألا ترى ، إلى قول القائل انا وجدنا فى حكمة عيسى كذا. يعنى وجدنا فى كتاب عيسى عليه السلام ، والحكمة لا تدرك إلا بخمس خصال يدوم عليها فاذا دام على هذه الخصال جرت الحكمة من قلبه على لسانه ؛ فأول ذلك الورع عن محارم الله تعالى ومحاسبة النفس ؛ والثانى طول الصمت إلا من الخير ، والثالث قلة الأكل وان كان حلالا ، والرابع الزهد فى الدنيا والانقطاع عن الخلق والتوكل على الله بالكلية ، والخامس كثرة الذكر وقراءة القرآن والتفكر وترك مالا يعنيه وأداء الامانه والصدق فى الحديث ؛ ومحض الحكمة فى ثلاثة أشياء ، التفكر بالقلب ؛ والصلاة بالليل ، والصيام بالنهار ؛ وقيل الحكمة عشرة أجزاء ؛ تسعة منها فى التغافل ؛ وواحدة فى الصمت ؛ وروى عن أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن العشرة كلها فى التغافل فمن أحب أن يكون حكيما فليترك الذنوب وفضول الكلام والمزاح والعجب والكبر والفخر ومخالطة الناس ، ويقطع رجاءه عن الخلق ، ولا يرجو أحداً غير الله ؛ ولا يخاف أحداً سوى الله ، ولا يتكلم ولا يعمل إلا لله ، وينصح المسلمين ويكون فى كل يوم وليلة خلوه مع الله ؛ ويعرف عدوه يعنى ابليس ويحاربه ويجاهد مع نفسه وهواه. فاذا دام على ذلك فهو حكيم ، وروى عن كعب رضى الله عنه أنه قال : الحكيم هو الذى يزن الكلام بقلبه ثم يتكلم به ويتفكر لما بعد ذلك من الكلام ، وقيل الحكمة ثلاثة أشياء

حب الله تعالى ؛ وحب الآخرة وأهلها ؛ والزهد فى الدنيا ، وروى عن كعب عن رضى الله عنه أنه قال : الحكمة خمسة أشيآء فمن وجدها فى نفسه فهو حكيم الصبر والتوكل واليقين والرضاء بقضاء الله والشكر لله فى الشدة والرخآء. وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: الحكمة خمسة أشياء الاسلام والسنة والجماعة واجتناب الكبائر ورد المظالم وقلة الأكل من الحلال وذلك ككسب يده وقال النبي ﷺ: « جعلت الحكمة على لسان عمر » رضى الله عنه لانه كان كلامه حقاً ، وقال كعب رضى الله عنه(١) وجدت فى التوراة مكتوبا ان الله عزوجل قال لموسى عليه السلام يابن عمران انى جعلت فى أمة محمد حكماء علماء كأنهم أنبيآء واجتمعت الأئمة على أن الحكيم هو الذى يتكلم بالحق ويزهد فى الفانى ويرغب فى الباقى ويجتهد فى الطاعات ولا يرائى بذلك أحدا ويعظ الناس بعلمه مخلصاً فى جميع أحواله .

باب تفسير القدر

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: أصل القدر هو الكفر بعينه(٢) تزعم القدرية أن الله لم يخلق المعصية والله تعالى يقول: (والله خلقكم وما تعملون) فأى كفر أعظم من هذا حيث كذب الله تعالى فى قوله وتزعم القدرية أن الزنا لم يكن بمشيئة الله تعالى فيقال له يا كافر المولود

(١) العهدة فيما روى على كعب والتوراة الموجودة ليس فيها هذا .

(٢) مايقوله ابن اسحق منشاؤه شدة التعصب من أهل الآراء المختلفة ووقوع بعضهم فى بعض. والا فما يقوله ابن اسحاق لا يكفر ولا يخرج به مسلم من الاسلام اذ هو متأول

من الزنا هو من خلق الله أم أنت خلقته ؟ والقدرية مخلدون فى النار قال الله تعالى: (ذوقوا مس سقر إنا كل شىء خلقناه بقدر) قيل أنه يقول ذلك للقدرية يوم القيامة وقد بين الله تعالى أن الخير والشر كله من الله فقال: (ان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) قل يا محمد (كل من عند الله) وقال تعالى :(ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) يعنى من عملك وتدبيرك وأنا قدرته عليك ، وقال تعالى فى الرد على القدرية فى قصة ابليس : (قال رب بما أغويتنى) علم ابليس فى ذلك الوقت أن علم الله السابق فيه منعه عن السجود لآدم عليه السلام وقال لنبيه ﷺ: (انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) وقال تعالى: (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) وقال النبى ﷺ لرجل « ان الله تعالى كتب عليك الذنب ثم يعذبك عليه إن شاء وليس بظالم » وقال عليه السلام « القدرية مجوس هذه الأمة » وقيل أول من تكلم بالقدر جبريل وميكائيل عليهما السلام . فقال جبريل الخير والشر من الله . وقال ميكائيل الخير من الله والشر من العباد . فقال جبريل لميكائيل انا متى نختلف اختلف أهل السماء ، ومتى اختلف أهل السماء اختلف أهل الارض فهلم فلنتحاكم الى إسرافيل ففعلا فقضى بينهما بالحق القدر خيره وشره حلوه ومره كله من الله تعالى ، وقد اختلف أيضاً فى ذلك أبو بكر وعمر . فقال أبو بكر مثل قول ميكائيل وقال عمر مثل قول جبريل . فقضى رسول الله ﷺ مثل قضاء اسرافيل بين جبريل وميكائيل ثم التفت النبى ﷺ الى أبى بكر فقال : «ياأبابكر

إن الله لو أراد أن لا يعصى في أرضه لم يخلق ابليس» فقال أبو بكر صدق الله وبلغ رسوله بأبي أنت وأمي يارسول الله كانت مني زلة في هـذا القول وهفوة ولا أعود فيه أبداً ؛ واجتمعت الأئمة على أن المولود من الزنا أن الله تعالى خلقه ، والجنة والنار هما خلقه ، والخير والشر هو خلقه كله ».

باب تفسير الارجاء

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الارجاء أن يرجو ربه فيقول إذا قلت لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد كفاني هذا . وهذا من تمام الايمان ويزعم أنه يدخل الجنة بهذا القول وإن عمل بالمعاصي وترك الفرائض كذبوا لعنهم الله ؛ وأما صفة المرجئة فان قوماً منهم يقولون الايمان قول بلا عمل . وقوم منهم يقولون الايمان قول والعمل شرائعه وقوم منهم يقولون الايمـان هو معرفة القلب وأن يتكلم باللسان ؛ وقوم منهم يقولون الناس لا يتفاضلون في الايمان ويقولون ايماننا كايمان جبريل وميكائيل والنبيين والملائكة ، وقوماً منهم يقولون نحن مؤمنون حقاً ، وقوما منهم يقولون من قتل أربعين نفسا ممن يخاف قولهم دخل الجنة ، وقوما منهم يقولون الايمان قول والصلاة والصيام والزكاة والحج يزين الايمان وأنها ليست من الايمان ؛ وإن زنا أوسرق أو شرب الخمر لم ينقص ايمانه ، وقوماً منهم يقولون الايمان هو اليقين ؛ وقوماً منهم يقولون إذا قال الرجل لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد استكمل ايمانه ، وقومـاً منهم يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ممن خـالفوهم ، وأما قومـاً منهم يرون الخروج عـلى الأئمة بالسيف ،

وقوما منهم لايصلون ولا يصومون ولا يزكون ولا يحجون ويزنون ويسفكون دماء المسلمين ويشربون الخمور ويزعمون أنهم مؤمنون حقا. وقوما منهم يقولون نحن مؤمنون ولا يقولون إن شاء الله ولا يقولون حقا، وكذبوا كلهم لعنهم الله فإنهم خالفوا الله ورسوله وأصحابه والتابعين من بعدهم والسلف الصالح ومن خالفهم فهو مبتدع ملعون على لسان النبيين، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال أنا مؤمن حقا فهو منافق حقا والمنافق كافر مخلد فى النار» والدليل عليه قوله تعالى (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) واجتمعت الأئمة أن من أنكر القرآن ورد الكتاب والسنة فقد كفر بالله.

باب تفسير الاعتزال وصفة المعتزلة

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: أصل الاعتزال هو ترك السنة والجماعة واعتزلوا عن الدين والطريق المستقيم وتركوا الكتاب والأثر وقالوا بالمعقول وما وافق هواهم مخالف الكتاب وردوا أخبار النبى ﷺ فى الصفات وكفروا بذلك، والمعتزلة عندنا شر من المجوس لأن الله تعالى يقول: (وكلم الله موسى تكليما) وقال تعالى: (بل يداه مبسوطتان) وقال تعالى: (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) وقال: (كل شىء هالك إلا وجهه) وقال النبى ﷺ: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن» وقوله عليه السلام: «ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا» وقال عز وجل: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الرحمن مخلوق

لأن القرآن كلامه فمن رد هذا فهو كافر. ونحن نقول إن الله تعالى يتكلم ويرى ويسمع ويبصر ويضحك ويسخط وله اليد والوجه والنزول بلا كيف ولا شبه، والفاظنا بالقرآن كلام الله، والقرآن فى المصاحف كلام الله والمحفوظ كلام الله، وعذاب القبر حق، ومسائل منكر ونكير حق. فمن خالف هذا فهو كافر

باب تفسير الرفض وصفة الروافض

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: أصل الرفض هو رفض الدين وترك السنة والجماعة وأما صفة الروافض فان قوما منهم يقولون: خير الناس بعد الرسول الله ﷺ على رضوان الله عليه وهذا كفر لأنهم خالفوا الاجماع والاجماع كالقرآن، وقوما منهم يقولون لا نقول فى أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم الا خيرا إلا أن عليا خير منهم وهذا رفض بين، وقوما منهم يقولون عليا فى السحاب وقوما منهم يقولون عليا يبعث يوم القيامة، وقوما منهم يقولون أخطأ جبريل بالرسالة لأن الله تعالى أرسل جبريل بالوحي الى على فعدل الى محمد ﷺ وقوما منهم يقولون على هو إله الخلق، فأى كفر هو أعظم من هذا؟ وقوما منهم يقولون إن أبا بكر وعمر كانا كافرين، وقوما منهم يقولون الخلق كلهم كفار إلا أربعة على، وسلمان، وعمار بن ياسر، ومعاذ بن جبل، وقوما منهم يقولون لا خلافة إلا لعلى والعلويين. وقوما منهم يقولون إن معاوية رضى الله عنه كان كافرا ويشتمون أصحاب النبى ﷺ وأزواجه وأصهاره وكان معاوية رضى الله عنه من أصهاره، وقوما منهم يلعنون

أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، وقوما منهم يقولون لانرى الجماعة إلا خلف العلويين ، وقوما منهم لايصلون البتة ، وقوما منهم افترضوا على أنفسهم نيفاوخمسين صلاة فى الليل والنهار ، وقوما منهم يؤخرون صلاة المغرب ويصلون الظهر قبل الزوال ويلعنون السلف الصالح ، وقوما منهم يرون المتعة واللواط ، وقوما منهم يقولون نحن نحب جميع أصحاب رسول الله ﷺ ولكن نبغض معاوية رضى الله عنه . وهم على ثمانية عشر صنفا كل واحد منهم يخالف صاحبه ، وهم كفار شهد النبى ﷺ عليهم بالكفر فقال : « ياعلى (١) هذان سيدا كهول أهل الجنة يعنى أبا بكر وعمر ماخلا النبيين والمرسلين ، ياعلى إن بعدى قوما يكون لهم لقب يقال لهم الروافض فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون وذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر ، ياعلى لو كانوا طيوراً لكانوا رخماً ، ولو كانوا دوابا لكانوا بغالا ، علامتهم أنهم لايحضرون صلاة الجماعة » والسنة فى هذا أن يقول خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم أجمعين ، ويترحم على جميع أصحاب النبى ﷺ وأزواجه وأختانه وأصهاره وعلى جميع المهاجرين والأنصار والتابعين من بعدهم ، وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « اقتدوا بالذين من بعدى يعنى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما » وقال ابن عمر رضى الله عنه : خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر فمن أبى فقد كفر .

---

(١) الحديث بشكله هذا موضوع .

باب تفسير الجهم

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: أصل الجهم الانكار بعذاب القبر ويقول القرآن مخلوق فمن قال هذا فهو مبتدع ضال ، وأجمع أهل العلم من أهل السنة أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن عذاب القبر حق ، وسؤال منكر ونكير حق ، فمن قال غيره فهو كافر.

باب تفسير الزندقة

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الزندقة هو الكفر والزنديق دهرى يقول ليس فى السماء أحد بل هى خالية قديماً لم تزل على هذا ويذكرون أشياء أكره ذكرها .

باب تفسير العقل

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل العقل هو الشد والفتح ، وانما معنى الشد أن يشد أى يعقل على نفسه الكفر ويفتح على نفسه الطاعة ، وأصل العقل هو أن يميز بين شيئين ويختار منهما ما كان خيرا والعقل وزن الدنيا والآخرة ، فبالعقل يترك الدنيا ويأخذ الآخرة ، والعاقل هو أن يكون زاهداً فى الدنيا راغبا فى الآخرة ، حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه ، وعلامة العاقل الصلاة بالليل والصيام بالنهار وأكل الحلال وقلة الانبساط وكثرة البكاء وقلة الضحك وذكر الموت والاستعداد له ، والتغافل والحلم والصبر والشكر لله على كل حال يصبح ويمسى وليس فى قلبه غش لمسلم ، يحب للناس ما يحب لنفسه من

الخير ؛ ويبغض للناس مايبغض لنفسه من الشر كأنه واقف فى المحشر بين يدى الله تعالى ؛ يحاسب نفسه كل يوم وليلة ؛ يخالف النفس والهوى لايأتى عليه ساعة الا وهو مشغول بطاعة الله أو بكسب الحلال ، وقد ذكر الله تعالى العاقل فى القرآن وأثنى عليه فى مواضع فقال : (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) قل يامحمد (هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر أولوا الالباب) يعنى أولوا العقول. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « كنت نائما عند زوال الشمس فجاء جبريل عليه السلام فرفسنى(١) برجله ومسح على عينى ثم قال لى يامحمد السلام عليك . فقلت وعليك السلام ياجبريل . فقال يامحمد صاحب العرش يقرئك السلام ويقول لك طالب الجنة لاينام . وهارب النار لاينام. عش ماشئت فانك ميت ، وأحبب من شئت فانك مفارقه ، واعمل ماشئت فانك ملاقيه ومجازيه ثم قال لى يامحمد ان الله تعالى بعثنى اليك بثلاث هدايا لتختار منها ماشئت ؛ فقلت حبيبي جبريل وما تلك الهدايا ، فقال يامحمد العقل والايمان والحياء ؛ فقلت حبيبى جبريل قد اخترت العقل » ثم قال الايمان للحياء تعال (أى ائت) حتى نرجع الى ربنا فقد اختار رسول الله ﷺ العقل فقال الحياء أن الله أمرنى أن لا أفارق العقل طرفة عين ؛ وكان قد اجتمع فى رسول الله ﷺ العقل والايمان والحياء قال الله تعالى لنبيه عليه السلام « كل انسان يدعى بقدر عقله ويأخذ من الثواب على قدر عقله لاعلى قدر علمه » .

(١) ليس المراد المعنى الظاهر من هذه العبارة بل المراد انه أيقظه من نومه

باب تفسير المعرفة

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: أصل المعرفة بالله أن تعرف ربك بأنه الهك وخالقك ، وتعرف نفسك أنها عدوك تخالفها وتعلم أن هواك شريك نفسك فتخالفه ، وتعلم أن لك عدوا يراك ولا تراه وهو ابليس وجنوده فتحتاج أن تعرفه وتحاربه ولا تتبع أمره ، فاذا عرفت ذلك فقد عرفت ربك ، وأصل المعرفة تعليم أسماء الله تعالى وتفسيرها قال الله تعالى: (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال « أن لله تسع وتسعون اسما مائة الا واحد من أحصاها دخل الجنة » وقيل لبعض العلماء بم عرفت ربك ؟ قال بفسخ العزم ونقض الهم ، وقيل العقل لا يكون فى الكفار انما يكون فى المؤمنين خاصة ، وانما أصل المعرفة بالله هو ثلاثة أشياء النظر الى الله بعين القلب فى كل ساعة ولحظة ، ويعلم أنه بعين الله ونظره ، ولا يتغافل عن الله ونظره اياه ، والثانى الزهد فى الدنيا والرغبة فى الاخرة والثالث ، قلة الاكل وطول الصمت ، وذكر الموت ، والانقطاع عن المخلوقين ومن كل علاقة سوى الله ، ولا يصلى الا لله ، ولا يصوم الا لله ، ولا يفطر الا لله ، ولا ينام الا لله ، ولا يستيقظ الا لله ، ويغفل عن كل شيء الا عن الله ، وقال سهل بن عبدالله : عرفت الله بالله وما دون الله بنور الله.

باب أصل التوكل

وصفة المتوكلين الانقطاع عن الخلق وهو أن يستغنم قلة الشيء

ويبغض الغنى وكثرة المال ، ولا يرجو أحـدا غير الله ، ولا يخاف أحـدا سواه ، ويثق بالله ويصدق قوله ويعتمد عليه ويعلم أنه اذا توكل عليه كفاه أمر دنياه وآخرته ، وأما صفة المتوكل خمسة أشياء الاشتغال بالله وتكون الدنيا وأحوالها وشهواتها ولذاتها أهون عليه من التراب . ولا يعبأ بالدنيا ولا يحرص على جمعها ، ولا يطلب حاجته من الخلق ، ولا يتواضع للخلق لأجل الدنيا ، ويستغنم الجوع وقلة الشيء ويتوكل على الله فى جميع الامور ، لان الله تعالى يقول: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال تعالى لنبيه عليه السلام (وتوكل على الحى الذى لايموت) وقال النبى ﷺ « ومن توكل على الله كفاه الله كل مؤنة » وقال عليه السلام « لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا » .

باب أصل الشكر

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: أصل الشكر هو الشكر بالقلب واللسان والرضا بالقلب عند الاعطاء والمنع ، والشكر لله على كل حال فى المصائب والشدائد ، وعند البلاء والنعمة ، وفى كل شيء يقول الحمد لله ، قال الله تعالى:(مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم)فبدأ بالشكر ثم بالايمان ومعناه ان آمنتم وشكرتم ، وقال تعالى (لئن شكرتم لازيدنكم) ولم يقل لشيء لازيدنكم الا فى الشكر. وقال تعالى:(وان تشكروا يرضه لكم) وقال النبى ﷺ:« الطاعم الشاكر خير من الصائم الصابر » ، وروى عن النبى ﷺ أنه قال:« من قال عند فراغه

من الطعام الحمـد لله الذى أطعمنى وسقانى وجعلنى من المسلمين لم يحاسبه الله على نعيم الدنيا »

باب أصل الحلم وصفة الحليم

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: أصل الحلم هو التغافل عما يقال له ويقال فيه ويعلم أن ذلك كله من الله تعالى وبمشيئته ولا يلوم أحدا فاذا غضب يكظم غيظه وغضبه ويعفو عن الناس لان الله تعالى يقول: (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وقال تعالى فى صفة إبراهيم عليه السلام: (إن ابراهيم لحليم أواه منيب) وان آخر ماأوصى به لقمان لابنه عند موته: يابنى كن كالقنطرة يمر عليها جميع الخلائق، وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه، العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى التغافل وقال أيضا أحمد رضى الله عنه ان العشرة كلها فى التغافل وأما صفة الحليم ثلاث علامات يواصل من قطعه ويعفو عن من ظلمه ويعطى من حرمه

باب أصل السخاء

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه: أصل السخاء أن يحب الدفع ويبغض الاخذ ويستقل مايعطى ويستكثر مايدفع اليه، وصفة السخاء هو موقن بالله واثق به راض بقضائه ينفق من اليسر لطلب ثواب الله الجزيل، وروى فى الخبر أن الله تعالى قال « ياملائكتى السخى قريب منى قريب من رحمتى قريب من ملائكتى بعيد من نارى، وعلامة

السخاء أن يكون صاحبه باراً بوالديه محسنا الى قرابته ، قريبا الى الفقراء والمساكين ؛ وان الله تعالى غرس شجرة فى الجنة وسماها السخاء أصلها فى الجنة وأغصانها فى الدنيا فمن تعلق بغصن من أغصانها دخل الجنة

باب أصل الارادة وصفة المريد

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : فالمريد الذي لا يريد الدنيا ولا الخلق ولا زينة الدنيا ، ويريد الله ولا يؤثر سواه ، ويطلب الجنة . ويؤثرها على ماسواها ؛ قال الله تعالي (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) وقال تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين)

باب تفسير العمل وصفة العاملين

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أما العمل فهو أداء فرائض الله بالأخلاص واليقين والنية والمعرفة والخشية ؛ واجتناب المحارم والتمسك بالسنة والقيام بأمر الله ونهيه ؛ وأمر النبي ﷺ ونهيه ، والنصيحة للخلق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والاحسان إلى الوالدين : وصلة الرحم ، والأحسان الى الجيران ، والحج والجهاد ، والصبر على المصائب ، والرغبة فى النوافل وصلاة الجماعة وطلب العلم .

باب تفسير الذكر

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : الذكر ذكران ذكر بالقلب وذكر باللسان أما الذكر بالقلب فهو أفضل الذكر . وهو أن يعلم أن

الله تعالى يراه فى جميع مايعصى الله به ويريده بقلبه . والذكر باللسان هو أن يذكر الله بكرة وعشياً وفى دبر كل صلاة ، يخافه ويتفكر فيما بعد الموت من أهوال الآخرة ، وأن الله تعالى أوحى الى موسى بن عمران عليه السلام فقال : ياموسى « اذكرنى على كل حال » فقال موسى يارب أين أجدك ؟ فقال : « أنا جليس من ذكرنى »

باب أصل الفكرة

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الفكرة تكون فى القلب يتفكر فى خلق السموات والارض وفيما يصير اليه بعد الموت . قال الله تعالى : (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) وقال تعالى : (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وروى عن النبى ﷺ أنه قال « تفكر ساعة خير من عبادة سنة لايتفكر فيها » وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح . قيل يارسول الله هل لذلك علامة قال : نعم . التجافى عن دار الغرور والأنابة الى دار السرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله » .

باب تفسير الرضا

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الرضا هو ان يرضى العبد باليسير ويصبر على كل عسير ، وليس له هم الا الآخرة والاشتغال بعبادة الله مع الصبر عليها . وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « من رضى من الله باليسير من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل » .

باب أصل المعصيه

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل المعصية هو العمل الذى لايرضاه الله ولا رسوله : ورأس العصاة هو ابليس لانه أول من عصى الله ، ولو أراد الله تعالى أن لايعصى لما خلق ابليس ، والكبائر كل ذنب أوعد صاحبه النار ، وأول الكبائر قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، والزنا ، واللواط ، وشرب الخمر ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وقذف المحصنة، وشهادة الزور ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، وعقوق الوالدين ، وقطع الرحم ، وتأخير الصلوات ، قال الله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم) وكل ذنب يغفره الله إلا الشرك بالله قال الله تعالى : (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) .

باب تفسير الدنيا

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : الدنيا مانحن فيه من أوله الي آخره . ومعنى الدنيا ماقدرنا وسآئر امورنا وعلم أنها الى الفناء وقد ضرب الله فى ذلك مثلا فقال : (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة) ثم قال : (قل متاع الدنيا قليل : والآخرة خير لمن اتقى) وقال النبى ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » وقال النبى ﷺ « حب الدنيا رأس كل خطيئة » والحريص على الدنيا لايشبع ومن تمنى على الله الدنيا دخل النار ، ومن كانت فيه خمسة أشياء فهو

دنياوى ؛ من أصبح وأمسى وقلبه مشغول بقوت الشتاء والصيف ، والثانى كثرة الأكل ؛ والثالث جمع المال ، والرابع التكاثر والتفاخر فيها وتشييد البناء ؛ والخامس لايبالى من أين يأكل ويأخذ من الحلال أو من الحرام ؛ وقال النبي ﷺ : « إن الله حرم لحماً غذى بالحرام على الجنة » وقال عليه السلام : « إن الله تعالى خلق الدنيا وبغضها ومنذ خلقها ما نظر اليها » وقال النبى ﷺ « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء » وقال تعالى لموسى عليه السلام : « ياموسى لاتهتم لرزق غد فانها خطيئة تكتب عليك ويقع على قلبك نقطة سوداء » .

باب تفسير الآخرة

قال محمد بن إسحاق رضى الله عنه : سميت الآخرة لأنها قد أخرت وهى غيب لبست بمعاينة ؛ والسموات والأرضون ليس هما من الآخرة بل هما إلى الفناء والزوال، قال الله تعالى :(كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وأما الآخرة فقوله تعالى : (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) وأما صفة الرجل الذى يطلب الآخرة فهو الزاهد فى الدنيا . الراغب فى الآخرة . يصبح ويمسى وهو فى همة الآخرة . مرة يخاف من النار . ومرة يرجو الجنة .

باب تفسير الحسد

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الحسد هو الذى لايرضى

بما أعطاه الله تعالى ويحسد الناس بما آتاهم الله ويتمنى أن يكون له لا لغيره وقال تعالى : (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) والحسد يكون فى القلب ، والحسد يكون من الكفر لان أول من حسد كان قابيل حسد أخاه هابيل فكفر بذلك . والحاسد فى نفسه مغتم ، فى دينه ناقص ، وقال النبي ﷺ : « إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » وقال الله تعالى : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) . وقال النبي ﷺ : « لاحسد إلا فى اثنتين . رجل أتاه الله مالا فهو يتصدق منه سراً وعلانية ، ورجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار » .

باب تفسير الكبر

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الكبر هو شيآن واحد فى القلب ، وواحد فى الجوارح ، وهو الذى يسفه الناس بلسانه . والذى فى القلب وهو أن يغتاظ عند قول الحق . معجب برأيه وبنفسه . ويتمنى أن ليس فى الدنيا مثله . والكبر ركن من الكفر لأن أول من تكبر إبليس فقال تعالى : (واستكبر وكان من الكافرين) وقال النبي عليه السلام : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر » قال الله تعالى : « الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى فى واحد منهما ألقيته فى نارى(١) » والمتكبر بعيد من الله تعالى وهو الذى يفتخر ويستعمل العجب والرياسة ، وكيف يتكبر من خلق من التراب ويعود إلى التراب ، ومن كان أوله نطفة قذره وآخره جيفة مذرة

(١) هو حديث قدسى

باب تفسير الكياسة

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الكياسة قوله ﷺ : «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» والكياسة هى الفطنة والفطنة من العقل . والعقل من المعرفة . والمعرفة من الزهد فى الدنيا وللكيس علامات . العطا قبل المسئلة ، والبذل قبل المكافأة ، والفكر بالقلب والعبرة بالعين ، وذكر الله دآئما بالقلب واللسان ، ومداراة الناس ، والرفق مع أهل زمانه ، ويحتمل من الناس اذاهم ولا يؤذى أحداً ، ولا يصحب الجهال ، ويجالس العلماء ويخالط الفقراء . والكيس يصبح ويمسى وليس لأحد عليه دين فذلك هو الكيس .

باب تفسير الكفر

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : الكفر كفران كفر خفى ، وكفر جلى . فاما الخفى فالرياء . وكفران النعمة ، وأصله قوله ﷺ : «الرياء أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء» وهو الشرك الخفى ، والكفر الجلى هو الشرك بالله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء).

باب تفسير النفاق

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل النفاق هو الشك والريب وهو الكفر بعينه . والمنافق أسوأ حالا عند الله من المجوس . لان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار . وعلامة المنافق ثلاث . إن

حدث كذب، وإن وعد أخلف ، وإن أوتمن خان ، والمنافق شاك فى دين الله لايكون له يقين ولا معرفة ولا وفاء ولا صدق ولا أمانة لقوله تعالى : (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) يعنى شك وريب وقال تعالى : (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا) يعنى آمنوا باللسان وكفروا بالقلب ، ونفاق أمة محمد ﷺ هو أن يرد آية من كتاب الله أو يرد خبر الرسول ﷺ أو ترك الرغبة فى الجمعة والجماعات وفضائل الأعمال فهذا هو النفاق بعينه .

باب أصل الفسق

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الفسق هو الخروج من الدين واستعمال المعاصى والذنوب والجلوس مع الفسقة ، وأصله من حب الدنيا وطلب الحرام والزنا واللواطة ، والسرقة وقطع الطريق على المسلمين ، والكذب والنميمة والسعاية بالمسلمين ، ومجالسة أهل البدعة وشرب الخمور ، واللعب بالنرد والشطرنج . لما روى أنه سئل كعب ماتقول فيمن لعب بالشطرنج فقال : هو كيد الشيطان فانه أول من لعب بالشطرنج .وروى أن علياً بن أبى طالب رضى الله عنه مر على قوم يلعبون بالشطرنج فصاح بهم وقال : ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ ثم قاموا فقالوا يا أبا الحسن : اللعب بالشطرنج حرام ؟ قال نعم .هو القمار الاصغر ، وسئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن الشطرنج فنهى عنه وكرهه وشدد فيه ، وسئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن الشطرنج فقال : وأى شطرنج ؟ فوصفوا له . فقال : هو

القمار بعينه ، وسئل عثمان رضى الله عنه عن الشطرنج فقال : كل لعب فى الأسلام فهو حرام على المسلمين ، وكل عمل عُمل فى الجاهلية فهو حرام على المسلمين أن يعملوا به ، وسئل سعيد بن جبير رضى الله عنه والحسن البصرى رضى الله عنه عن الشطرنج فقالا : الذى يلعب بالشطرنج فاسق لاتقبل شهادته ولا يسلم عليه .

باب البخل

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل البخل هو حب الاخذ وبغض الدفع ، ويستكثر الدفع وان كان قليلا ، ويقلل الاخذ وان كان كثيرا ، وصفة البخيل هو الذى يبخل على نفسه وعياله واخوانه، ويبخل بالسلام على المسلمين ، ويبخل باداء الزكاة واستكمال النفقات وقضاء الديون وبر الوالدين وصلة الرحم وبر الصديق ، ويبخل على الفقراء والمساكين ، ويسرف بالأنفاق على أبناء الدنيا والاغنياء والفساق والظلمة فهذه صفة البخيل ؛ وروى أن ابليس ذهب إلى موسى عليه السلام فعاينه فقال له : ياموسى إذا ذهبت إلى طور سيناء فاسأل الله أن يتوب على فانى أعلمك ثلاث مسائل و تسعة وتسعين مسألة. فقال نعم فلما صعد موسى إلى طور سيناء وكلم الله فقال موسى يارب إن اللعين جاءنى وقال لى كذا وكذا وشرط أن يعلمنى ثلاث مسائل من مكره وتسعاً وتسعين مسألة . فقال الله تعالى : ياموسى .قل له أسجد سجدة واحدة على قبر آدم وان هذه توبتك ؛ فاذا فعل هذا فقد عفوته وأرده إلى السماء حتى يعبدنى كما كان عند الملائكه من

قبل ؛ وتعلم منه الثلاثة ولا تتعلم منه التسع والتسعين فانه يغلط عليك كثيراً . فلما رجع موسى من طور سيناء لقيه ابليس فقال موسى تعال حتى أخبرك بمسئلتك قد تاب الله عليك . وهو يقول أسجد على قبر آدم سجدة واحدة فانى أغفر لك كل خطيئة . فصاح ابليس صيحة وأخذ من التراب قبضة وجعلها على رأسة وقال : ياموسى . إن آدم كان حياً تحت العرش ولم أسجد له والساعة أسجد له وهو تحت التراب هذا شيء لايكون . سل مسألتك ؛ فقال موسى ياابليس علمنى المسائل الثلاث التى من عمل بها نجا من مكرك ولم يكن لك عليه سبيل ، قال ياموسى . إياك والبخل فان البخيل جليسى حيث أريد وهو فى قبضتى لاأفارقه طرفة عين حتى أدخله النار ؛ وإياك أن تخلو بامرأة غير ذى محرم فانى ثالثكما . ونظير ذلك فى كتاب الله تعالى (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم ؛ سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) وروى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال . إذا استطعت أن تجعل كنزك حيث لايأكله السوس ولا يناله اللصوص فافعل بصدقة . وروى عن النبى ﷺ أنه قال « من أدى الزكاة ؛ وقرى الضيف ، وأدى الامانة فقد وقى شح نفسه » يعنى دفع عن نفسه البخل وأجمعوا جميعا أن كل من أخرج حق الله من ماله وحقوق الآدميين الواجبة عليه وأداه فى مواضعه فقد برىء من البخل ؛ ومن لايؤدى ذلك من ماله كما وجب فهو بخيل وان أنفق كل يوم مائة دينار ، وروى عن رسول الله ﷺ

وسلم فيما يحكى عن ربه تعالى أنه قال : « البخيل بعيد منى بعيد من ملائكتى بعيد من رحمتى قريب من نارى » (١)

باب تفسير الحرص

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الحرص هو جمع المال من الحلال والحرام ، ويشتغل بذلك فى جميع الأحوال ، والحريص الذى يجمع الشىء وعنده كفايته ويبيع آخرته بدنياه ، والحرص مذموم فى الدنيا والآخرة . وروى عن النبى ﷺ أنه قال « لو أن لأبن آدم واديين من ذهب لابتغى ثالثا ولايملأ جوف ابن آدم إلا التراب » يعنى إذا دفن فى التراب.

باب تفسير الجهد

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الجهد هو الفقر والفاقة والمجاهدة . قوله تعالى :(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) وروى عن رسول الله ﷺ أنه سئل أى الصدقة أفضل قال : « جهد من مقل » وأشار إلى فقير والمجاهد الذى يجاهد نفسه وهواه وعدوه ابليس ، فاذا اجتهد مع هؤلاء الثلاثة فان الله يعطيه بدل ذلك ثلاث خصال نوراً فى قلبه حتى نور الجنة والنار لايغلبه . والثانى يقين صادق من غير طلب ولا تعب ، والثالث يجرى على لسانه الحكمة ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال لابن عباس : « ياعبدالله إحفظ الله يحفظك ، قيل يارسول الله كيف يحفظ الله قال يحفظ أمر

(١) هنا نقص فى الاصل لانه لم يذكر المسألة الثالثة التى طلبها موسى عليه السلام

الله ويترك نهيه فان الله سبحانه وتعالى يحفظه فى الدنيا والاخرة »

باب أصل الفهم

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : الفهم يكون فى القلب وهى الفطنة والكياسة والفراسة والأعتبار من كل مايرى ، والتعليم من الشريف والوضيع ، ولا يتكبر على أحد يصير نفسه مثل القنطرة يجوز فيه جميع الخلائق ، قال الله تعالى : (إن فى ذلك لآيات للمتوسمين) يعنى للمفترسين وقال النبي ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى » .

باب تفسير التقوى

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل التقى فى القلب ، وهو الذى لايخاف غير الله تعالى ولا يشتغل بشيء سوى الله ، وله ثلاث علامات . الزهد فى الدنيا ، والورع فى جميع أحواله وأقواله وأفعاله ، وقلة الأكل والكلام والنوم ، قال الله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً) وقيل التقى الذى يترك شطر الحلال خوفا من أن يقع فى الحرام .

باب تفسير الشوق

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه . أصل الشوق إلى الله تعالى يكون بالقلب لأن المشتاق إلى الله يشتهى الخروج من الدنيا ، وأحسن عمله ، وأرضى خصمه واحكم فرائضه ، وأصلح مابينه وبين الله تعالى ،

وأنه يشتاق الى الله تعالى فى جميع حالاته ولا يكون له قرار فى الأرض من الشوق الى حبيبه لأنه قد رآى من الحبيب فى الدنيا جميع ما يحبه ويشتهيه .

باب تفسير الكرم

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الكرم فى التقوى ، والكرم فى ثلاثة أشياء فى السخاء والمعرفة والتقى والكرم والتغافل ، وعلامته المداراة ، وزينته المروءة ، وعيشه عيش الملوك ، قال الله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقيل الكريم الذى يهاب الكرام الكاتبين ولا يعصى الله طرفة عين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكرم التقوى » .

باب تفسير الرياء

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الرياء هو الشرك والمرائى هو الذى يريد بعمله الذى يعمله لله الدنيا ومحمدة الناس والرياسة ، ويصلى عند الناس حسنا ، واذا صلى وحده خفف ، قال الله تعالى : (فمن كان يرجوا لقآء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) .

باب أصل العجب

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل العجب يكون فى القلب والمعجب الذى يتمنى فى نفسه أنه خير الناس وأعقل الناس ،

ويحب الرياسة والمال والذكر الحسن ، ولا يستشير أحداً فى شىء من عمله ويعمل برأى نفسه ، ويجلس مع الاغنياء ولا يجلس مع الفقراء ولا يسلم عليهم ولا يعلم ولا يتعلم ، معجب برأيه ، فاذا مات على هذا مات ميتة جاهلية .

باب الشرف

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : الشرف شرفن شرف المال وشرف الدين. فأما شرف الدين فالتقى والكرم ، وأما شرف المال فهو عشرة أجزاء تسعة منها فى الاغنياء وواحدة فى الأغنياء الأسخياء . وقيل حب العرب من الايمان ، وبغضهم من النفاق ، فقال النبي ﷺ «أحب العرب لثلاث. لان كتاب الله عربى ، وكلام أهل الجنة عربى ، وأبى من العرب» فمن أحب أن يكون شريفاً فى الدنيا والآخرة فليكن أتقى أهل زمانه ويزهد فى الدنيا ويرغب فى الاخرة . وقيل الشرف عشرة أجزاء تسعة للعلماء والفقهاء وواحد فى سائر الناس.

باب تفسير الهوى

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل الهوى العدول عن الطريق ومامن مبتدع إلا وهو صاحب هوى والهوى هو البدعة بعينها واتباع الباطل والشهوات وموافقة النفس ، فأن أردت أن لا تكون صاحب الهوى فخالف النفس والهوى وحارب العدو يعنى ابليس ووافق الكتاب والسنة واختر رضا الله على رضا الناس والنفس فتكون حينئذ برىء من الهوى .

باب تفسير النحو

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : أصل النحو هو القصد. والنحو لا تستقيم اللغة العربية الا به ، فاذا لم يعرف الرجل النحو فيكون كلامه وعربيته وتفسيره لحن ويكون لحاناً ، والنحوى الذى يعرف الأعراب وهى أربعة أوجه. نصب وكسر ورفع وجزم،فالنصب ما فتحت به شفتاك . نحو رأيت زيداً وبكراً وعمراً،والكسر ما كسرت به شفتاك . نحو قولك مررت بزيد وعمرو وبكر ، والرفع ماضممت به شفتاك،نحو قولك هذا زيد وبكر وعمرو ، والجزم نحو قولك لم يفعل ولم تفعل ونصب الاثنين وكسرهما بالياء نحو رأيت زيدين وبكرين،ومررت بزيدين وبكرين ، ونحو قولك رأيت مسلمين ومؤمنين ،ومررت بمسلمين ومؤمين ، ورفع الجميع بالواو نحو قولك مسلمون ومؤمنون

باب أصل العروض

قال محمد بن اسحاق رضى الله عنه : العروض ميزان يقوم به الشعر ، والعروض مثل طريق المبتدر بين الجبلين لا يعرفه كل أحد، والعروض باب صعب دقيق عزيز ، وقلما يوجد صاحب العروض ، ولا بد للنحوى من العروض ، ولا يكون شاعرا بالكمال حتى يتعلم العروض لانه يحتاج اليه فى جميع الكلام . والعروض باب حسن والشعر ديوان العرب ، ولا بد للشعر من العروض ، والنحو مال الأديب ولا يسمى أديبا حتى يكون نحويا ، عروضيا ، شاعرا .

تم كتاب التوحيد بحمد الله ومنه ، وفرغ من نسخه العبد المذنب الخاطئ المحتاج الى رحمة الله وغفرانه ، سعيد بن موسى بن أحمد بن سعيد بن أحمد المقيم بطزيان(١) من أعمال ماردين المحروسة حماها الله تعالى ؛ وهو يسأل الله المغفرة، فرحم الله من نظر فيه ودعا له ولوالديه ولجميع المسلمين ، بالمغفرة والرحمة آمين يارب العالمين .

وفرغ من نسخه يوم الاربعاء فى العشر الاول من ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلوات الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأزواجه وأختانه وأصهاره الى يوم الدين .

خط عبد ذى ذنوب محسنا بالله ظنا

(١) فى معجم البلدان لياقوت طزيان بالضم من قرى ديار بكر



فهرس

الخطأ المطبعي وصوابه

ص	س	الخطـأ	الصواب
ه	٢	بحضرت	بحضرة
و	٢٢	لم مثل	لم أر مثل
ط	٧	للغريب	للقريب
٩	٥	فلا تعوده	فلا تعده
«	«	فلا تصلى	فلا تصل
«	١٢	المرجئية	المرجئة
٢٩	٢١	واما قوما	قوما
٣٥	٩	ان الله تسع وتسعون اسما ماية الا واحد	ان لله تسعة وتسعين اسما ماية الا واحدا